المحاضرة الرابعة: منهجية البحث في الأنثروبولوجيا الديموغرافية

مقدمة

تتميز الأنثروبولوجيا الديموغرافية بمنهجية بحثية خاصة، تعتمد على التكامل بين التحليل الكمي، والتحليل الكيفي لفهم الظواهر الديموغرافية في سياقها الاجتماعي–الثقافي، فهي لا تدرس فقط الظواهر الديموغرافية مثل الخصوبة، والوفيات، والهجرة ...إلخ، بل تسعى إلى تفسير المعاني الاجتماعية الثقافية التي تنظر من خلالها المجتمعات إلى تلك الظواهر، ومن هذا المنطلق تعتمد على مجموعة من المناهج، والطرق، والأدوات التي تجمع بين الديموغرافيا الكلاسيكية، والبحث الأنثروبولولوجي الميداني.

أولا: المنهج الكمي

يشكل المنهج الكمي أحد الأعمدة الأساسية في دراسة الظواهر الديموغرافية، حيث يعتمد على استخدام البيانات الإحصائية، والمؤشرات الديموغرافية لفهم الاتجاهات العامة للتطور الديموغرافي، وتشمل مصادر هذه البيانات عادة التعدادات السكانية، والمسوح بالعينة، وسجلات الحالة المدنية، والبيانات الجاهزة...إلخ.

ويتيح هذا المنهج للباحثين تحليل التغيرات في حجم السكان، وتوزيعهم العمري، إضافة إلى دراسة الخصوبة، والوفيات، والهجرة، والمقارنة بين المجتمعات المختلفة، وبين الفترات المتباينة، مما يساعد في الكشف عن الأنماط العامة للتغيرات الديموغرافية.

ورغم أهمية المنهج الكمي يبقى محدودا إذا استخدم بمعزل عن فهم السياق الاجتماعي–الثقافي الذي تنتج فيه الظواهر الديموغرافية، وهو ما دفع الباحثين إلى توضيف أدوات منهجية بديلة.

ثانيا: المنهج الكيفي

تعتمد الأنثروبولوجيا الديموغرافية كذلك على المنهج الكيفي الذي يسمح بفهم السلوك الديموغرافي من وجهة نظر الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم، ومن أهم أدواته البحث الإثنوغرافي الذي يرتكز على البحث الميداني المباشر داخل المجتمع. ويشمل البحث الإثنوغرافي عدة طرق وأدوات تتيح فهم كيف تتشكل القرارات المتعلقة بالجوانب الديموغرافية. مثل الملاحظة بالمشاركة، والمقابلة االمتعمقة، والسير الذاتية... إلخ،

خلاصة

يتبين مما سبق، أن منهجية الأنثروبولوجيا الديموغرافيةتقوم على مقاربة شمولية تجمع بين أدوات التحليل الكمي للديموغرافيا، وأدوات البحث الأنثروبولوجي الميداني، وهذا ما يسمح لها بفهم أعمق للظواهر الديموغرافية مثل الخصوبة، والزواج، والوفيات، والهجرة، باعتبارها خلاصة تفاعل بين العوامل الاجتماعية والثقافية.